المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
قسم العدالة البيئية والمناخية

تقرير التبادل الشبابي
حول العدالة البيئية والمناخية

ولاية بنزرت حارسة المتوسط
في مواجهة شبح التلوث وأزمة المناخ

أكتوبر 2024

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
قسم العدالة البيئية والمناخية

تقرير التبادل الشبابي حول العدالة البيئية والمناخية
من 10 الى 13 جوان 2024

ولاية بنزرت "حارسة المتوسط"
في مواجهة شبح التلوث وأزمة المناخ

تأطير
رابح بن عثمان
رحاب مبروكي

إنجاز
غادة الحجري
نهى قردبو
مريم الصحراوي
ريم حقي
بية الحرباوي
أسماء بوحجر
آية الصالحي
جابر كرعاني

تنسيق
ايناس لبيض

صورة الغلاف

أحد المشاريع السياحية التي تهدد ديمومة منظومة غار الملح

الطباعة

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية – أكتوبر 2024

الفهرس

المقدمة 3

شبح التلوث في ولاية بنزرت: النفايات والصرف الصحي تنتهك حق المواطنين في بيئة سليمة 5

ماء عين مناري ماء موخم وغير صالح للشرب 18

غار الملح، من الفلاحة إلى السياحة: "القطعاية" وصراع البقاء 28

المقدمة

على امتداد 4 ايام متواصلة نظم قسم العدالة البيئية بالمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية الملتقى السنوي للتبادل الشبابي في دورته الخامسة من 10 جوان الى 13 جوان 2024 والذي حط رحاله هذه السنة في ولاية بنزرت. شارك في هذه الدورة 17 شابا وشابة من ولايات بنزرت والمنستير والقيروان وقفصة قدموا للاطلاع عن قرب على اهم التحديات البيئية التي تواجهها هذه المنطقة والتعرف على بعض الخصوصيات التي تميزها عن غيرها من المناطق.

افتتح الملتقى بتكوين في كيفية القيام بحملة مناصرة وتقنيات المونتاج والتصوير وحصة تكوينية حول اليات كتابة المقال الصحفي. وتقوم فلسفة الدورة بالأساس على تقسيم المشاركين الى 3 مجموعات عمل تقوم كل مجموعة باختيار الموضوع البيئي الذي سيقع الاشتغال عليه، وجمع مختلف المعطيات المكتوبة والمرئية والمسموعة للقيام بكتابة تقرير وانجاز فلم قصير حول الاشكالية

البيئية التي تم رصدها وعرض رؤية المنتدى للحلول والبدائل المقترحة.

وقد تم التطرق الى ثلاث مواضيع أساسية تعاني منها الجهة وهي اشكالية الماء الصالح للشرب والتلوث بالنفايات الصلبة والصرف الصحي اضافة الى معاينة أثار التغيرات المناخية والانتهاكات البيئية على المنظومات الأيكولوجية على غرار بحيرة بنزرت ونظام "الرملي" في غار الملح.

يهدف هذا التقرير الى تثمين المجهودات التي قام بها المشاركون /ات على امتداد 4 ايام متواصلة من العمل المضني من ناحية ومن ناحية ثانية دفعهم/ن الى الانخراط الفعلي في العمل الميداني والنضال البيئي من اجل ايقاف هذا النزيف الذي يهدد حق الأجيال الحالية والقادمة في العيش في بيئة سليمة.

نرجو لكم/ن قراءة ممتعة.

شبح التلوث في ولاية بنزرت:

النفايات والصرف الصحي تنتهك حق المواطنين في بيئة سليمة

غادة الحجري[1]
نهى قردبو[2]
تأطير رحاب مبروكي

رابط المقال على موقع الفوروم :
https://shorturl.at/WcNiM

[1] كاتبة عامة لجمعية الدائرة الخضراء. بنزرت
[2] أخصائية اجتماعية. المنستير

مصادر تلوث عديدة وخطيرة، محطات بنزين، روائح كريهة، تحديات بيئية ومناخية ضخمة يكابدها الأهالي بمناطق عدة من ولاية بنزرت التي تعيش تحت وطأة التلوث الصناعي بسبب مخلفات المنشآت الصناعية ونفاياتها التي تصيب الإنسان والطبيعة وتصب داخل بحيرة بنزرت التي تشكل أحد اهم الثروات الايكولوجية بالمنطقة. هذا بالإضافة إلى إشكال مصب النفايات المنزلية بمنطقة برج شلوف الذي لم يجد إلى اليوم طريقه إلى الحل. أما الصرف الصحي فلا يزال هو الآخر أحد أهم التحديات البيئية التي يعانيها أهالي حي بئر مسيوغة.

يسعى هذا التقرير لقسم العدالة البيئية بالمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية المنجز ضمن دورة التبادل الشبابي بولاية بنزرت لسنة 2024 الوقوف على مختلف هذه الإشكاليات وتصوير معاناة أهالي ولاية بنزرت جراء مصادر التلوث المختلفة.

1. التلوث الصناعي يهدد التنوع الايكولوجي ببحيرة بنزرت

تعد بحيرة بنزرت من أبرز البحيرات الموجودة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، والتي تمتد على مساحة حوالي 120 كلم مربع جنوب مدينة بنزرت، ويبلغ عمقها المتوسط بين 07 و12 متر وتغذيها عدة أودية

تنبع من الحوض وتكمن أهميتها الاقتصادية في كونها تضم المرفأ الاقتصادي للبلاد.

تعاني بحيرة ينزرت من إشكالية التلوث التي تهدد ثروتها الايكولوجية متأتية خاصة من وجود أكوام نفايات صلبة ممتدة على كامل ساحلها نتيجة انتشار الأنشطة الصناعية والتوسع العمراني غير الرشيد على ضفافها، حيث يصل عدد المؤسسات الصناعية الى 277 مؤسسة مختلفة الحجم والنشاط (تصنيع الجليد، النسيج، تكرير النفط، إنتاج الحديد، رسكلة الزيوت المستعملة والفولاذ). ويوجد 40 مؤسسة صناعية من بين المنشآت الموجودة مصنفة ضمن المؤسسات شديدة التلوث بينما يصل عدد المؤسسات ذات التلوث المتوسط إلى 60 مؤسسة. وتلقي هذه الأخيرة حوالي 17 ألف طن من المواد الملوثة سنويا[3] داخل البحيرة. ورغم النداءات المتكررة المطالبة بوقف نزيف التلوث الذي طال البحيرة وما جاورها إلا أن السلطات الرسمية لم تستجب لهذه المطالب، ما أدى إلى بروز عديد التداعيات البيئية الخطيرة التي مست البحيرة و أثرت بشكل مباشر على ثرائها البيولوجي حيث سجل في السنوات الأخيرة تراجع

[3] https://www.facebook.com/EchaabJournal/photos/a.421205544572233/805207916171992/?type=3

حوالي 30 بالمئة من إنتاج السمك ناهيك عن انقراض بعض الأصناف السمكية الأخرى مثل **البوري** و**أفعى البحر** وأيضا بروز العديد من الأنواع الدخيلة على الثروة البحرية التونسية مثل السلطعون والحلزون البحري والتي من شأنها أن تؤثر على التوازن البيولوجي بالبحيرة حسب ما أفادنا به بعض البحارة بالمنطقة خلال الزيارة الميدانية التي قام بها فريق التبادل الشبابي لقسم العدالة البيئية إلى البحيرة.

وتواجه البحيرة أيضا خطر التغيرات المناخية التي تعد اليوم من أبرز المشكلات العالمية مثل ارتفاع درجات حرارة الماء التي وصلت في

السنوات الأخيرة إلى 29 درجة مئوية وانخفاض معدل الأكسيجين من 08 بالألف إلى 06 بالألف حسب إفادة بعض البحارة المتواجدين بالقرب من البحيرة. كل هذه العوامل ساهمت في بروز مجموعة من التحديات الاقتصادية والاجتماعية حيث ساهم تراجع كميات الأسماك في التأثير على موارد رزق الكثير من البحارة وعزوفهم خاصة منهم الشباب عن مزاولة أنشطتهم وتفكيرهم في النزوح إلى مناطق أخرى.

موقع بحيرة بنزرت

لتلوث بالنفايات الصناعية ببحيرة بنزرت.

صورة بتاريخ 11 جوان 2024

2. النفايات والصرف الصحي .... معاناة لم تنته لأهالي برج شلوف وبئر مسيوغة

روائح كريهة تسد الأنوف حشرات مختلفة الخطورة تنتشر داخل الأحياء السكنية وخيوط من الدخان المتصاعد تدفع بأهالي برج شلوف إلى العجز عن فتح النوافذ جراء الحرق العشوائي للنفايات بالمصب البلدي المتواجد

بالقرب من مقرات سكنى الأهالي، والذي أصبح كابوس السكان الدائم واليومي.

يعود إحداث هذا المصب البلدي غير المراقب الذي تشرف عليه بلدية بنزرت الجنوبية إلى أكثر من العقدين من الزمن، رغم رفض الأهالي لقرار إحداثه وتقديمهم مطالب اعتراض بسبب قربه منهم حيث لا يفصله عن المساكن سوى عشرات الأمتار، كما أنه يحتوي على نفايات ذات مصادر متعددة وليس فقط نفايات منزلية. غير أن نداءاتهم لم تستجب لها السلطات المحلية والجهوية التي اتخذت موقف المتفرج إزاء التحديات البيئية والصحية التي يعيشون على وقعها منذ تركيز المصب.

وحسب شهادات مجموعة من متساكني منطقة برج شلوف في لقاء جمعنا بهم خلال زيارة ميدانية بتاريخ 12 جوان 2024، يقول العم صالح

"أحفادي الاثنين يعانون من ضيق التنفس بسبب المصب."

هذا بالإضافة إلى انتشار مرض السرطان الذي افتك بحياة عدد من الأهالي وانزعاجهم المستمر من تواصل هذه المعضلة البيئية. كل هذه الأضرار الصحية والنفسية لم تحرك ساكنا للسلطة. ورغم القيام بالعديد من التحركات الاحتجاجية للمطالبة بوقف سيلان التلوث إلا أنها لم تحقق نتيجة إيجابية تذكر.

ومن المضحكات المبكيات ان الناس التي تعاني وتتألم من تداعيات المصب الذي يضم نفايات كامل معتمدية بنزرت الجنوبية لا يتوفر لهم مكان لوضع نفاياتهم، اذ يأخذون نصيبهم من الروائح والامراض فقط. ضريبة باهضة الثمن يدفعونها دون فائدة لهم. لذلك يطالبون بتوفير مكان لوضع نفاياتهم.

مصب برج شلوف
صورة بتاريخ 12 جوان 2024

تكدس النفايات في الحي المحاذي للمصب
صورة بتاريخ 12 جوان 2024

شبح التلوث لا يقتصر على سكان برج شلوف فحسب، حيث يعاني سكان منطقة بئر مسيوغة التابعة لمعتمدية بنزرت الجنوبية أيضا من آثار الانعدام الكلي لخدمات الصرف الصحي. مما ساهم في انتشار أمراض عدة مثل الكلى وضيق التنفس والحساسية إضافة إلى بروز الحشرات السامة التي تقلق راحة السكان.

وحسب شهادات العديد منهم فان سكان هذه المنطقة يجدون صعوبة في التنقل لمزاولة أنشطتهم اليومية وكذلك في طريق ذهابهم إلى مؤسساتهم التربوية. ولفهم هذه الصعوبات، تجدر الإشارة إلى أن المنطقة تنقسم الى اثنين من الاحياء يقع الأول في مكان مرتفع بينما الاخر في منطقة منخفضة، ويفصلهما طريق، بينما يقطعهما وادي. ومن المفارقات انه ورغم قصر المسافة بينهما الا ان الحي العلوي يتمتع سكانه ببنية تحتية جيدة وبمختلف الخدمات التي تغيب في الحي السفلي، حيث يقع الحي العلوي من جهة القنطرة التي يتم بناؤها حاليا لتعزيز طاقة استيعاب القنطرة الحالية لبنزرت. ولأن هذه المنطقة ستصبح وجهة للسيارات وستزيد من ديناميكية المنطقة فان الاستثمارات والتحسينات في البنية التحتية يتم توجيهها إليها بينما يحرم الحي السفلي من أبسط الخدمات، وهو ما عبرت عنه بنت ال12 ربيعا التي التقيناها غير بعيد عن المدرسة الابتدائية.

" نحنا في بلاد وهوما في بلاد"

ومن أهم الاجراءات التي فاقمت من وضعية التلوث في الحي السفلي، أنه ردم الجزء العلوي من الواد مما جعل المياه تنحصر داخل الحي الموجود

تحت الواد. من جانب آخر، فان الحي العلوي تصل اليه الحافلات بينما يقتصر سكان الحي السفلي على التنقل عبر النقل الريفي.

التلوث بالصرف الصحي بأحياء بئر مسيوغة
صورة بتاريخ 12 جوان 2024

3. أي حلول مقترحة للنهوض بالوضع البيئي؟؟

من خلال زيارتنا سواء لبحيرة بنزرت ومنطقة بئر مسيوغة وبرج شلوف لمسنا لدى الأهالي إصرارا وحرصا وعيونا تشع غضبا وأملا حتى لمجرد إيصال صوتهم، وهذا ما نقلته عدسات كاميراتنا لتنقل مطالبهم وآمالهم ومحاولاتهم لإيجاد حلول للتحديات التي يواجهونها. فسكان محيط بحيرة بنزرت والمجتمع المدني الممثل لمشروع تطهير بحيرة بنزرت "Ecopact"يرون خلاصهم في التصرف في النفايات الصناعية بشكل امن وعدم إلقائها بشكل عشوائي داخل البحيرة. كما يرى الأهالي انه لا بد على المؤسسات الصناعية أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة احترام المعايير البيئية المعمول بها وطنيا ودوليا (الامتثال للقوانين) حتى لا نخسر ثروة وطنية لا مثيل لها. كذلك يعد التصدي لظاهرة البناء الفوضوي أمرا محتما فالبحيرة تستغيث من الاختناق العمراني.

أما برج شلوف فهي ليست أفضل حالا فأثناء زيارتنا الميدانية لها لم تتردد على مسامعنا سوى لا بد من إبعاد المصب على المناطق السكنية الذي يعتبر الحل الوحيد. بدورهم يرى أهالي منطقة بئر مسيوغة أن الحل لنجاتهم يتمثل في ربط المنطقة بشبكة الصرف الصحي التزاما بالفصل 47 من الدستور الذي يضمن الحق في بيئة سليمة. علاوة على ضرورة تعبيد الطرقات حتى يتمكن الأطفال من الذهاب إلى مدرستهم بصورة آمنة.

جميع هذه التحديات البيئة تفرض على الدولة التونسية اليوم حتمية وضع استراتيجيات محكمة وناجعة لمقاومة خطر التغيرات المناخية وآثارها على المنظومات الايكولوجية الهشة على غرار بحيرة بنزرت، كما وجب التعاطي الآمن والسليم مع إشكال النفايات الذي يعتبر إشكالا وطنيا ينتشر في مناطق عدة وخاصة في الهوامش، وذلك عبر تبني سياسة الفرز والتثمين والرسكلة علاوة على القضاء على المصبات العشوائية التي تنتشر في أماكن مختلفة والتفكير الجدي في استراتيجية وطنية للتصرف في النفايات، خاصة في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية. أما إشكال الصرف الصحي فان توفير شبكات التطهير للمناطق التي تعاني من الغياب الكلي لهذه الخدمة أصبح من الضروريات التي يجب على الدولة الإسراع في إحداثها. هذا دون إغفال مسؤولية الأفراد في تبني سلوكيات مسؤولة تجاه البيئة.

ماء عين مناري
ماء موخم وغير صالح للشرب

مريم الصحراوي[4]
ريم حقي[5]
تأطير رابح بن عثمان

رابط المقال على موقع الفوروم :
https://shorturl.at/jLrlF

[4] باحثة وناشطة بالمجتمع المدني
[5] ماجستير بحث قانون عام

عين مناري هي عين ماء عذب تقع في منطقة سيدي بشير, وهي منطقة ريفية تضم حوالي 50 عائلة وتتبع معتمدية جومين من ولاية بنزرت. هذه المنطقة تعاني العطش والجفاف وظروف معيشية صعبة خاصة مع نضوب عديد العيون العذبة التي كانت تغذي المنطقة. وفي إطار فعاليات برنامج التبادل الشبابي لقسم العدالة البيئية والمناخية الذي نظمه المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في شهر جوان من سنة 2024، تم القيام بزيارة ميدانية لمنطقة عين مناري لمعاينة أزمة مياه الشرب بالمنطقة لاسيما في ظل موجة الجفاف التي تواجهها البلاد خلال السنوات الأخيرة.

صور لعين مناري من معتمدية جومين

1. منطقة عين مناري ضحية التغيرات المناخية

يبلغ معدل التساقطات في معتمدية جومين من ولاية بنزرت724 مم في السنة، الا أن مجموع التساقطات منذ غرة سبتمبر 2023 إلى غاية 29 فيفري 2024 لم يتجاوز 418 مم، ذلك وقد سجلت المنطقة خلال شهر فيفري من هذه السنة 75 مم فقط مقارنة ب 109 مم خلال نفس الفترة من سنة 2023 ,أي أنه تم تسجيل انخفاض في مجموع التساقطات بنسبة 31% كما يوضحه الجدول التالي.

	المجموع الشهري	المعدل الشهري	النسبة الشهرية %	المجموع من 1 سبتمبر الى 29 فيفري 2024	المعدل السنوي من 1 سبتمبر إلى 31 اوت	النسبة السنوية %
بنزرت سيدي أحمد	54.0	82.8	65%	302.6	637	48%
تينجة	60.4	81.1	74%	287.1	589	49%
راس الجبل	57.5	75.6	76%	262.1	583	45%
العالية	47.0	56.6	83%	233.0	482	48%
ماطر	75.5	71.4	106%	334.5	533	63%
جومين	75.0	109.3	69%	418.5	724	58%
سجنان	76.0	105.2	72%	501.5	824	61%

معدل التساقطات لشهر جوان حسب المعتمديات بولاية بنزرت

المصدر. وزارة الفلاحة والموارد المائية والصيد البحري

تشهد منطقة عين مناري على غرار باقي المناطق التابعة لولاية بنزرت تراجعا كبيرا في نسبة التساقطات مما أثر على عدد العيون الطبيعية التي كانت تزخر بها. وحسب شهادة أحد المتساكنين الذين التقينا بهم كان هناك ما لا يقل عن 9 عيون تنبع بصفة طبيعية ودون انقطاع ولم تكن مشكلة العطش مطروحة بتاتا. أما الان فقد تغير الوضع وانحسر العدد إلى عين واحدة بفعل تتالي سنوات الجفاف والارتفاع المتواصل في درجات الحرارة الذي أصبح السمة البارزة في السنوات الأخيرة بالمنطقة.

عين واحدة تزود قرابة 50 عائلة بالماء. وهو ما يجعل الأهالي غير قادرين على تلبية حاجياتهم اليومية من الماء الصلح للشرب بالكمية والجودة اللازمة.

2. فشل منظومة الجمعيات المائية في تزويد الأهالي بالماء

كانت منطقة عين مناري تتزود بالماء الصالح للشرب عن طريق جمعية مائية تأسست سنوات قليلة بعد الثورة لكن غياب الصيانة وهشاشة البنية التحتية إضافة الى عديد الإشكالات الأخرى أدت الى حلها منذ أكثر من 10 سنوات رغم تأكيد بعض المواطنين على مواضبتهم في دفع معاليم استهلاكهم للمياه. لكن ذلك لم يمنع هذه المنظومة الهشة من الانهيار بسبب

المديونية وغياب الحوكمة الرشيدة وسوء الإدارة. وهكذا عبر أحد المتساكنين بقوله:

''العباد مخلصة الماء والماء مش موجود، المشكل انو المقاول ماخدمش ع قاعدة الحلاقيم، ligne مكسرة''.

3. تداعيات شح الماء على متساكني عين ناري

ينتج عن مشكل نقص المياه الصالحة للشرب بمنطقة عين ناري عديد التداعيات الاجتماعية والصحية والنفسية.

- **التداعيات الاجتماعية**

تسبب انعدام توفر مياه الشرب بالجهة في نزوح ثلثي المتساكنين خاصة الى معتمدية ماطر رغم ما يصاحب ذلك من مصاريف إضافية (معاليم كراء ومعاليم التنقل) حسب أحد السكان، وتتعمق هذه الظاهرة لدى فئة الشباب الذين يفضلون مغادرة المنطقة عوضا عن البقاء وتكبد عناء نقل المياه.

''تي احنا الأغلبية متاعنا حولت منها لبلاصة''

- **التداعيات الاقتصادية**

أثر نشاط جلب الماء في تغيير نمط الحياة اليومية, اذ يتحمل رب العائلة عبئ جلب المياه ونقلها يوميا ويقضي ساعات كثيرة في انتظار تعبئتها من العين بمعدل 12 ساعة في اليوم. كما ان معدل تدفق المياه بطيء جدا لاسيما في الصيف. حيث تستغرق مدة تعبئة 20لتر من المياه 10 ساعات تقريبا. **''نهار كامل نخدم ع الماء''**, وهو ما يعطل مصالح سكان المنطقة.

''البيدون بساعة في جويلية وأوت، وأغلب الوقت تلقاهم بال 20 و30 واحد قدامك، وكل حد يجي باش يعبي 40 ليترا. وقتاه تروح؟ نا ساعات نجي 08 نروح 13 وساعة مشي وساعة جي كل يوم.''

- **التداعيات الصحية**

عادة ما يتسبب شرب المياه الملوثة في عديد الأمراض مثل أمراض الكلى والتهاب الكبد الفيروسي. وحسب ما أكده لنا بعض المواطنين وتمكنا من معاينته فإن ماء عين مناري يعتبر ماءا ملوث وهو ما يجعل العديد من المتساكنين يعانون من أمراض الكلى.

'' نشربو منها بقر وعباد، أغلبيتنا مرضى بالكلاوي'' .

هذا إضافة لاحتواء الماء على العلق وهي نوع من الديدان الطفيلية التي تظهر وتتكاثر في المياه الملوثة.

مظاهر تلوث ماء عين مناري

هذا وقد أكد لنا أحد المتساكنين أن المياه المتأتية من هذه العين سرعان ما يتغير لونها وطعمها بعد تعبئتها ورغم ذلك يقع استهلاكها

***" ما عنا حتى حل كان انا نشربو من هنا"*.**

ان شرب المياه الملوثة له آثار سلبية على صحة السكان كما أن طرق تعبئة المياه ونقلها في أوعية بلاستيكية غير مناسبة يزيد في تفاقم الأزمة الصحية بالمنطقة.

طرق تعبئة الماء من عين مناري

- **التداعيات النفسية**

يشكل هاجس البحث عن الماء مشكلا يؤرق متساكني عين مناري حيث ينصب جل اهتمامهم وتفكيرهم في كيفية توفير الماء لعائلاتهم وتحقيق اكتفائهم منه بشكل يومي. وهو ما يسبب ضغطا نفسيا متزايدا خصوصا في فصل الصيف مع انخفاض تدفق الماء في العين.

"كي يجي الصيف نولي نخمم كان في الماء ماعادش نجم نعمل شي اخر، مكان مزري جينا فيه "

4. الحلول المقترحة

رغم ما تزخر به منطقة عين مناري من موارد مائية هامة ,الا أنها تعاني العطش منذ سنوات. وهنا يذكر المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية بأن الحق في الماء الصالح للشرب هو حق دستوري يكفله الفصل 43 من دستور الجمهورية التونسية لسنة 2022 كما يدعو الى إعادة تهيئة العين وصيانتها بصفة فورية مع القيام بالتحاليل اللازمة للتأكد من جودة المياه التي يستهلكها المتساكنون.

كما يدعو في ظل الأزمة الحالية للجمعية المائية بالمنطقة، الشركة التونسية لاستغلال وتوزيع المياه للتدخل العاجل من أجل ربط المنطقة بشبكة توزيع المياه لاسيما وأنها تبعد بعض الكلومترات فقط عن معتمدية سجنان.

غار الملح، من الفلاحة إلى السياحة

"القطعاية" وصراع البقاء

جابر كرعاني[6]
بية الحرباوي[7]
أسماء بوحجر[8]
آية الصالحي[9]
تأطير إيناس لبيض

رابط المقال على موقع الفوروم :

https://shorturl.at/RKo4n

---

[6] تقني سامي في الهندسة الميكانيكية
[7] مهندسة فلاحية
[8] باحثة في علم الاجتماع
[9] طالبة في هندسة الاتصالات والشبكات

يعتبر نظام الزراعة الرملية (الرملي) أو المتعارف عليه بنظام القطعاية في منطقة غار الملح بولاية بنزرت في أقصى الشمال التونسي، طريقة فريدة للزراعة في الرمال، باستخدام المد والجزر لري المحاصيل بمياه الأمطار وهو من بين أكثر من 24 نظاما من نظم التراث الزراعي ذات الأهمية العالمية المدرجة ضمن قائمة منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (FAO) في سنة 2020.

للتاريخ دور رئيسي في تواجد هاته الطريقة الفريدة في الزراعة ، مع هجرة الأندلسيين إلى منطقة شمال إفريقيا، خاصة هجرة الموريسكيين إلى تونس في القرن السابع عشر، وتوطنهم في منطقة غار الملح التي تمتاز بموقعها الجغرافي الخاص، حيث تقع المدينة على سفح جبل الناضور الجنوبي وبحيرة غار الملح التي يصب بها أكبر أنهار تونس وأطولها، واد مجردة، وهو ما استوجب خلق تقنيات زراعية تتلاءم مع هذه الطبيعة القاسية للمنطقة ونتاجا لذلك ابتكر المجتمع المحلي في ذلك الزمان الزراعة الرملية كشكل من اشكال التأقلم بسب ندرة الأراضي الزراعية وقلة الموارد المائية العذبة.

ونظرا لخصائصها الجغرافية والطبيعية الهشة تم سنة 2018 إدراج مدينة غار الملح على قائمة "رامسار" وهي معاهدة دولية تهدف للحفاظ

والاستخدام المستدام للمناطق الرطبة. وتعتبر غار الملح أول مدينة عربية وشمال إفريقية تدخل هذه القائمة.

الموقع الجغرافي لغار الملح[10]

[10] https://shorturl.at/5LDc7

في إطار برنامج التبادل الشبابي للعدالة البيئية والمناخية للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية انتظمت زيارة ميدانية لمنطقة غار الملح لمعاينة نظام القطعاية وجملة التحديات التي يواجهها اليوم.

1. ما هي "القطعاية"؟

القطعاية هي عبارة عن جزر رملية صغيرة داخل سبخة سيدي علي المكي تكونت نتيجة تراكم طبقات من الرمل يقوم الفلاحون بمزجها بالسماد العضوي لتشكل بذلك تربة صالحة للزراعة بسمك 40-50 سنتمتر. ثم يتم تثبيت القطايع والفصل بينها باستعمال نبات القصب الذي يلعب في نفس الوقت دور كاسر للرياح. كما ويجب على المزارعين مراقبة ارتفاع مستوى البحر بانتظام حتى لا تغمر مياه البحر الأراضي بالكامل فتفسد بذلك المحاصيل وتجرف التربة. ذلك أن سمك التربة المناسب يلعب دورا مهما في عملية الري ,اذ يسمح لجذور النباتات ببلوغ طبقة المياه العذبة المتأتية من مياه الأمطار والتي تطفو فوق مياه البحر المالحة عند حركة المد والجزر. وتمكن عملية الري الطبيعة هذه من توفير احتياجات النباتات من الماء بالكمية الكافية دون استنزاف للموارد المائية, حيث أنها ترتكز على تثمين مياه الامطار دون أي حاجة للسقي المباشر.

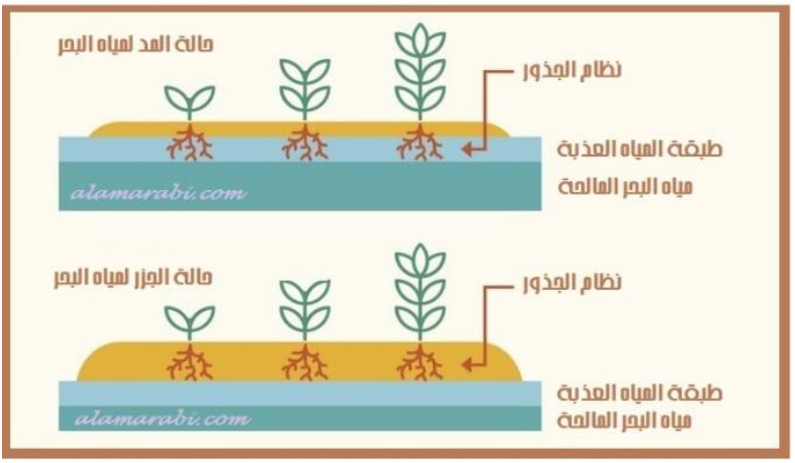

صورة توضيحية لعملية ري نباتات القطعاية بفضل حركة المد والجزر[11]

إضافة الى كون نظام الرملي يعتبر حلا اقتصاديا في مواجهة أزمة شح المياه في تونس فانه يوفر عديد الزراعات الفصلية عالية الجوده لعل أهمها البطاطا البدرية، الفلفل، اللوبيا البيضاء والحمراء، البصل والبطيخ...

[11] https://shorturl.at/5LDc7

تقنية الزراعة الرملية
صورة بتاريخ 11 جوان 2024

القطايع داخل سبخة سيدي علي المكي[12]

[12] https://shorturl.at/5LDc7

2. جملة من التحديات تهدد ديمومة نظام القطعاية

يواجه هذا الإرث الزراعي الوحيد من نوعه في العالم تهديدات شتى أهمها التغيرات المناخية والأنشطة البشرية التي على رأسها التوسع العمراني و إنشاء ميناء جديد بالمنطقة بالإظافة الى التطور السريعللأنشطة السياحية.

وفي هذا الصدد أفادتنا خلية الارشاد الفلاحي بغار الملح أن التساقطات تراجعت إلى حدود الثلث بين 2010 و 2023 مما ساهم في اختلال التوازن الذي يقوم عليه نظام الري في القطعاية التي تمثل 27 بالمئة من مجموع الأراضي الزراعية الرملية الممتدة على 220 هكتار. كما عرَّجت على الانخفاض الكبير لمنسوب المياه المتدفقة الى السبخة من خلال البوغاز، وهو ممر مائي طبيعي يمكِّن من تبادل المياه بين البحر والسبخة، وذلك نتيجة إنشاء الميناء الجديد وتعبيد الطريق الرابط بين المدينة والميناء. وقد أكد لنا ذلك عم علي وهو فلاح متمرس (منذ أكثر من 20 سنة) حيث أوضح لنا أن الانخفاض الكبير في مستوى مياه السبخة يؤثر سلبا على وصول المياه العذبة الى الجذور عند هطول الأمطار, و بالتالي لم يعد من الممكن تثمين هذه التساقطات لري المحاصيل أثناء عملية المد.

زيارة ميدانية لأحد فلاحي القطعاية

تراجع منسوب المياه في سبخة سيدي علي المكي

ويعتبر الموقع الحالي للميناء الجديد من أهم العوامل المتسببة في ضعف امدادات السبخة بالماء ذلك أن فلاحي القطايع يتكبدون عناء تسريح مجرى المياه الذي يربط السبخة بالبحر من الترسبات الرملية المتراكمة فيه بسبب قوة التيارات البحرية في المنطقة التي سبَّبها إنشاء الميناء والتي تستوجب مجهودات جرف دائمة ومكلفة للدولة وللفلاحين على حد السواء. وبحسب شهادة عم علي فإنه يقوم ومجموعة من الفلاحين بتسريح المجرى المائي ما لا يقل عن مرة كل أسبوع.

الموقع الجغرافي لغار الملح

صورة للمجرى المائي الذي يغذي السبخة من مياه البحر عبر البوغاز

3. الآثار الاقتصادية والاجتماعية للصعوبات التي يواجهها نظام القطعاية

بناء على ما تقدم ونظرا للأهمية التي يكتسيها الموضوع فقد ارتأينا أن نتطرق الى الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنظام القطعاية، في محاولة منا لفهم أسبابها وتبعاتها وايضاح تأثيراتها على المجتمع المحلى.

في إطار زيارتنا الميدانية لمنطقة غار الملح قمنا بمعاينة نظام القطعاية واستنتجنا أن للتغيرات المناخية جملة من التبعات على المجتمع المحلى بمنطقة غار الملح، لعل أبرزها عزوف الشباب عن ممارسة الفلاحة

الرملية وتوجههم الى النشاط السياحي باعتباره يدر أرباحا هامة مقارنة بالنشاط الفلاحي الذي ما فتئ يتدهور بسبب التغيرات المناخية من جهة وتوجهات الدولة نحو دعم المشاريع السياحية مقابل التخلي التدريجي عن الأنشطة الفلاحية من جهة أخرى.

وقد ساهم هذا التغيير في النشاط الاقتصادي في تخلي عديد الفلاحيين عن أراضيهم لحساب المنشآت السياحية مما أدى الى فقدان الموروث المعرفي التقليدي الذي تناقلته الأجيال. هذه المعرفة ليست فقط أساسية للاقتصاد المحلي، ولكنها أيضًا جزء من الهوية الثقافية للمجتمع وفقدانها قد يؤدي إلى ضعف الروابط الثقافية والتاريخية.

ولقد عاينا كيف أن عددا من المنشآت السياحية الجديدة بالمنطقة فاقم من مشكل الترسبات الرملية ووصول مياه البحر إلى السبخة في مشهد يبرز الاخلالات في التوازن الايكولوجي التي تتسبب فيها عشوائية الخيارات والتوجهات التنموية التي تنتهجها الدولة.

التوصيات من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من نظام القطايع

وبناء على ما تقدم فإن المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية يوصي بضرورة الحفاظ على هذا الإرث الزراعي لما له من أهمية بيئية واقتصادية واجتماعية وذلك عن طريق تبني تشريعات تدعم صمود هذا النظام أمام التغيرات المناخية وتقدم الدعم اللازم لفلاحي القطايع, كما انه في ضل الخاطر المتزايد للزحف العمراني والأنشطة السياحية يدعو المنتدى للتدخل العاجل لتوسيع البوغاز الموجود وفتح ممر مائي جديد من ناحية البحر لتزويد السبخة بالماء. كما يدعو أيضا الي تثمين هذا النظام في إطار ديناميكية سياحية جديدة تقوم على السياحة الايكولوجية .

"ولاية بنزرت" حارسة المتوسط
في مواجهة شبح التلوث وأزمة المناخ

على امتداد 4 ايام متواصلة نظم قسم العدالة البيئية بالمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية الملتقى السنوي للتبادل الشبابي في دورته الخامسة من 10 جوان الى 13 جوان 2024 والذي حط رحاله هذه السنة في ولاية بنزرت. شارك في هذه الدورة 17 شابا وشابة من ولايات بنزرت والمنستير والقيروان وقفصة قدموا للاطلاع عن قرب على اهم التحديات

الخصوصيات التي تميزها عن غيرها من المناطق
يهدف هذا التقرير الى تثمين المجهودات التي قام بها المشاركون /ات من ناحية ومن ناحية ثانية دفعهم/ن الى الانخراط الفعلي في العمل الميداني والنضال البيئي من اجل حق ا جيال الحالية والقادمة في العي في بيئة ليمة